۸۳٤

۱/

۱۶۵۳۱

مجله	مجلة المجمع العلمي العراقي
تاريخ نشر :	۱۳۶۶
شماره	۱ سال اول
شماره مسلسل	
محلّ نشر	بغداد
زبان	عربي
نويسنده	خير القاضي
تعداد صفحات	۲۳ ـ ۳۸
موضوع	اسلوب القرآن الكريم ومفردات الفاظه ۱ــ
سرفصلها	وزن
كيفيّت	
ملاحظات	

١٦٥٣١

٢٢ — ٢٨
تشر ١ سال اول
١٣٦٩ هق

اسلوب القرآن الكريم ومفردات الفاظه (*)

- ١ -

القرآن الكريم كتاب أحكمت آياته ، ثم فصلت من لدن عزيز حكيم ، نزل بلسان عربي مبين ، هدى للناس • نعم ، انه يهدي الناس الى طريقين : طريق الدين المستقيم ، وهو الغرض الأول من نزوله • وطريق الأدب العالي الرفيع ، والبيان الجلي القويم ، وهو الغرض الثاني من نعمة حصوله • وهو بطريقه الأول أنشأ ديناً حكيماً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، اقتلع جذور الشرك من الشرق الأدنى والشرق الأوسط وطرف من الشرق الأقصى ، ولوح بنوره في الأقطار الأخرى ، فلم يقو ذلك الشرك المزمن الذي كلكل على الشرق بجرانه على مصاولة دين التوحيد الصحيح القوي الأساس ، العزيز الحجة الواضح المحجة ، فاستبدلت الأمم التوحيد بالشرك ، والأخوة بالبغضاء ، والتناصر بالتناحر ، والتآزر بالشقاق ، والمجتمع الصالح بالمجتمع الفاسد • وأبدع علوماً صقلت العقول ، وأيقظتها من سبات عميق طويل ، وكشف عن النفوس الأغطية الكثيفة حتى أصبحت حديدة الأبصار ، لامعة البصائر ، فعرفت ذواتها ، وعلمت أنها أفضل المخلوقات ، وأنها سواء فيما بينها ، فتحررت من عبادة الأحجار والحيوانات والأشخاص ، وأخذت تبحث في سموها ، والطهارة من أدرانها ، والتحلل من أوزارها ؛ والعقول اذا انتبهت فلا حدّ لمدى سيرها ، ولا نهاية لعمقها وغورها • وأحدث نظام المساواة بين الناس ، وقرر احترام الانسانية وحقوق البشر ، ووضع لهم دستوراً صالحاً في معاملاتهم فيما بينهم • فالمظلوم منصور ، والظالم مقهور ، والله الحاكم العادل •

هذا مجمل مما أدى اليه طريقه الأول ، ولسنا في مجال تفصيله ، أو الاستزادة من اجمال سائر نواحيه ، فلذلك مقال آخر • وانما نبحث هنا أسلوب القرآن ومفردات ألفاظه : مما يدخل في عموم الطريق الثاني •

الطريق الثاني : الأدب العالي الرفيع ، وقد هدى الى ذلك بأسلوبه ، ومفردات ألفاظه • وانا لباحثون هذين بما استطعنا من ايجاز •

(*) محاضرة للأستاذ السيد منير القاضي القاها في دار المجمع العلمي العراقي

أسلوب القرآن الكريم

ينقسم كلام العرب الى منظوم ومنثور . فالمنظوم ما طبع على أوزان خاصة معدودة ، وصب فى قوالب معينة ؛ ولا يتجاوز المعروف من تلك الأوزان ستة عشر وزناً تسمى بحور الشعر ، والأولى أن تسمى بحور النظم . ولا تتعدى تلك القوالب أعداداً محسوبة لكل وزن من أولئك الأوزان . والمنثور ما لم يقيد بوزن ، أو يقصر على قالب ، أو يوسم بطابع . فقد يأتى مسجعاً مقفى يحاكى سجع الحمام المغنى أو الباكى ، وقد يرد مرسلا كالسلسبيل العذب المطرد فى مجاريه النضرة ، المنساب الى النفوس سائغا فراتا ، وقد يجىء مزيجا من النوعين ، يقف تارة مغرداً أو باكياً بلا تعمل أو تكلف ، ويجرى أخرى صافياً مطلقا كالزلال العذب ، أو النسيم الطلق ، وهكذا يتلون ويتقلب فيروى النفوس الظمأى ريا ، وينعش الأرواح انعاشا . وان كنت فى شك من ذلك ، فارجع بصرك الى منثور الجاحظ وأبى حيان التوحيدى من المتقدمين ، ومنثور المنفلوطى والرافعى وطه حسين من المتأخرين ، تجد الدليل واضحاً ، والحجة قائمة .

والقرآن الكريم منثور له طابعه ، وله أسلوبه ، وله طريقته . لم يعهد للعرب قبله أن جرت فى نثرها مجراه ، أو سلكت أسلوبا يشاكه أسلوبه ، أو يشابه سبيله ، أو يشاكل طريقته . وان كنت فى ريب من ذلك ، فاستعرض منظوم الجاهلية ومنثورها ، وائت بما حفظ من مقالات بلغائها وحكمائها وكهانها وحنفائها ونساكها ، يأتك اليقين واضحا ، وتسطع لك البينة واضحة .

انه منثور عنوانه (الآيات البينات والذكر الحكيم) ، واسمه القرآن الكريم ، لا هو بالنثر الفنى ، لأن الفن الأدبى وقواعد اللسان العربى انما حدثت بعده ، واستمدت من ثروته الأدبية ، واصطلح عليها بعد دهر من نزوله . ولا هو بالنثر الدارج بين أمة عصرية ، للاختلاف الواسع بينهما ، من حيث مفرداته ، وتراكيبه وصياغته ، وبحثه ، ومناظرته ، واحتجاجه ، ووضوحه ، وجزالته ، وفصاحته ، وبلاغته ، وبراعته ، وسمو مراميه ، وحسن قصصه ، وقوة مداخله ، وسهولة مخارجه ، وشريف مواضيعه ، وبليغ حكمته ، وعدالة أحكامه ، وصرامة وعظه ، ولطافة ارشاده ، ومقارعته الحجة بالحجة ، والدليل بالدليل ، الى أن يفحم الخصم ، فيرتد بصره وهو حسير ، وتفقأ بصيرته كليلة خائرة ، فيرفع راية التسليم ، ومن حيث اعماله الأذهان ، وكشفه السجف عن النفوس ، وهتكه الحجب عن الأنظار ، واطلاق العقول من أسرها . (كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليذكر أولو الالباب) .

وأسلوب القرآن الكريم تختلف طرقه باختلاف الموضوعات التي يطرقها والمرامي التي يستهدفها . فهنالك أسلوب واحد ، وهنالك طرق مختلفة الاتجاه متحدة الأسلوب.

أما أسلوبه الواحد فهو الركون الى الوضوح في أداء المراد بألفاظ هي الدرر المنتقاة من بحر اللغة ، المختارة من بين أترابها من لسان العربية المبين ، الواقعة في محلها وقوع المقل في محاجرها ، فلا يسد غيرها مسدها ، ولا يغني عنها غيرها . ونظم هو السهل يعجز البليغ عن محاكاته وان تخيل قدرته على ذلك ، لما يراه من يسر المادة التي جاء بها ، وظهور المعاني التي يحملها ، ولألفة نسج التراكيب العربية التي ينسج على منوالها . يرى ذلك سهلا عليه ، ولكنه اذا أعمل ذهنه ، وسدد سهمه ، وأرهف قلمه ليأتي بمثله ، تراجع القهقرى مقرًا بالعجز ، معترفا بالتقصير . (لو شئنا لقلنا مثل هذا) ، ولكنهم لم يقولوا مثل هذا ، اذ لم يستطيعوا ذلك . فلو استطاعوا ، لقالوا ، الزاماً لخصمهم الذي تحداهم (قل فأتوا بسورة من مثله) ، وافحاما لمناظرهم الذي سفه أحلامهم ، وقوض خيامهم ، وهد بنيانهم ، وأمعن في تدميرهم وابطال طارفهم وتليدهم . لو كانوا يستطيعون ، لفعلوا ، فكانوا هم الفائزين (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا).

ولا يقتصر أسلوب القرآن الكريم على الوضوح ، والبلاغة ، والبراعة ، وحسن البيان ، وحسن الابتداء ، وحسن الانتهاء ، وتناسب الآيات وانسجامها في كل سورة حسناً لا يجاري وتناسباً لا يباري ، ووضع الألفاظ في مواضعها ، وايقاع التراكيب في مواقعها ، واطلاق النظم منسجماً مترابطاً سهلا ، تشتف الأذهان معانيه كما تشتف الأرض المميحلة الغيث المفرع . بل هنالك سر آخر — هو سر اعجازه — وهو شهادة الأذواق السليمة على سمو نظمه بحيث تنقطع دونه معارج البلاغة ، وتنحط عن بيانه شموس البراعة .

والأذواق السليمة هي فيصل التفرقة في الأدب بين الغث والسمين ، والبدين والهزيل ، والقوي والضعيف ، والرخيص والثمين . ان الأذواق السليمة لتستبشر عند تذوقها جلال اعجازه وفخامة ابداعه ، وتستحلي رقة بيانه ودقة معانيه وقوة أدائه ، وتقول : هل من مزيد ؟ مهما زودتها من آياته ، وأتحفتها من سوره وبيانه . فاستشهد ذوقك ، وهو خير الشاهدين . وان كان المرء مريضا بالذوق فلينزهه في حدائق البلغاء ، وليداوه بهضم ثمارها حتى يعود سليما ، ثم ليستشهده على ما أقول فيستجديه من أصدق الشاهدين وأحكم الحاكمين [illegible]

وأما طرائقه فبقدر ؟ وكلها في حدود البيان على خط واحد ، وفي فلك البلاغة على دائرة واحدة ، هي أوسع الدوائر وأسماها • فله في المناظرة طريقة ، وفي المحاورة طريقة ، وفي القصص طريقة ، وفي تقرير الأحكام طريقة ، وفي التاريخ طريقة ، وفي الوعظ طريقة • وهكذا في كل موضوع من موضوعاته • وأنا أورد ما كشفت لي تلاوته آناء الليل وأطراف النهار من بعض تلك الطرائق ، وما تحقق لي من تلك الحقائق •

طريقته في المناظرة :

له فيها طريقتان :

١ ـ الاستدلال العقلي الصرف ، أي الرجوع الى مجرد العقل ، ونصبه حكماً بعبارات تصب المعاني في قلب السامع الراغب في الحقائق صب الحياة في الأجسام القابلة لها ، على وجه لا يدع فراغاً لتسرب الشك الى صحة الدعوى وثبوتها ، وهنا السر في البراعة ودقة الأسلوب •

٢ ـ الاستدلال بالوقائع العامة المألوفة لكل أحد ، المعروفة عند جميع الناس ، والرجوع اليها حكماً بانضمام العقل اليها •

وها أنا ذا أستظهر لك فصولا من هذا الباب ، موجزا في الشرح على قدر الامكان •

أ ـ (ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب) :

وشرح ذلك : أنكم ، أيها المخاطبون ، تعترفون وتعتقدون أن آدم خلق ابتداعاً من غير أب وأم • فاذا كانت عقولكم تصدق ذلك وتحكم به ، فمن باب أولى أن تحكم بجواز ايجاد عيسى عليه السلام من أم بلا أب • فالعقل الصرف هو الحكم في المسألة •

ب ـ (ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ، وان يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ، ضعف الطالب والمطلوب) :

وشرح ذلك : أن الاصنام التي تعبدونها لا تستطيع أن تخلق الذباب الذي هو من أضعف الحشرات ، بل ان هذه الحشرات الضعيفة ـ أي الذباب ـ اذا سلبت هذه الأصنام متضمخة به من مواد الطيب ونحوه ، فانها لعاجزة عن استنقاذه منها والذب عنه • والعقل السليم يشهد بمن كان بهذه المكانة من الضعف والهوان ، ويسمه بميسم الذل والحطة ، ولا يستسيغ أن يحسب له حساباً ، لا أن يتخذه معبودا • فالعقل الصرف هو الحكم في المسألة •

ج ـ (وضرب لنا مثلا ونسي خلقه ، قال : من يحيي العظام وهي رميم ؟)

وشرح ذلك : أنكم ، أيها المنكرون للبعث ، قد استبعدتم البعث ، واستعصى عليكم أن تجوزوا قدرة أحد على صب الحياة في العظم الرميم ، فسألتم سؤال انكار : من يحيي

العظام وهي رميم ؟ ولم تنتبهوا الى أنفسكم ، ونسيتم خلقكم وايجادكم من مواد كانت ميتة ثم سرت فيها الحياة فنمت حتى كنتم بشرا سويا . ــ يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ــ وصارت تلك المواد الميتة في أصلها تعقل وتجادل وتناظر وتخاصم . فمن قدر على هذا ــ وهو أمر واقع مسلّم به ــ كيف لا يقدر على رد الحياة الى العظام الرميمة التي كانت متقمصة بها ، وذلك بطريقة هو يعلمها لم تألفوها . فالعقل اذا قارن بين النشأتين ، ووازن بين الحياتين ، لا يجد فرقا بينهما في باب الامكان . فما الانكار الا غفلة عن حقيقة واقعة ، هي نظير ما استبعدتموه ، ومثيل ما أنكرتموه . فالعقل السليم وحده ، قاطع بامكان البعث ، وجواز حصوله . وانكار الممكن الجائز خروج على حكم العقل وخرق لنظراته الصائبة .

د ــ (وقالوا انما يعلمه بشر ، لسان الذي يلحدون اليه أعجمي ، وهذا لسان عربي مبين) :

وشرح ذلك : أنهم افتروا فرية عظيمة واضحة البطلان ، لأن مجرد الرجوع الى حكم العقل المحايد ، وعرض هذه الفرية على انصافه ، يجعل المرء يجزم ببطلانها ، ويحكم أنها صادرة من أفواه كاذبة ، وألسنة متطرفة متعصبة ، تلوك الباطل ، وترمي الكلام على عواهنه جزافاً ، اضلالا للناس ، وحطاً من مقام خصمها ؟ فان خصوم الرسول الأعظم لما عجزوا عن مناظرة القرآن الكريم وما حواه من علم وبلاغة وأدب ــ مع أن الذي جاء به رجل أمي ــ وألقوا سلاح بلاغتهم أمام قوة تحديه اياهم ، انصرفوا الى طريق الدجل ــ وما أضيقه ! ــ وتمسكوا بالأراجيف والبهتان ــ وما أضعفها مستندا ! ــ فقالوا : « انما يعلمه بشر » يريدون شخصاً معينا عجميا كان يسكن مكة . فجاء الدليل على اقتلاع هذه الفرية ، وهدم هذا المستند باستنطاق العقل وتحكيمه . فاذا عرضت القرآن بمزاياه وخصائصه على العقل ، مقررا أنه من صنع رجل عجمي بجنسه أعجمي بلغته ، يلقيه على رجل عربي عريق في العروبة ، ناشىء في أحضانها ، معروف بالأمانة والصدق ، لاستبعد العقل ذلك كل الاستبعاد ، ونطق قائلا : (لسان الذي يلحدون اليه أعجمي ، وهذا لسان عربي مبين) فالرجوع الى حكم العقل السليم الصرف ، هو الدليل في المقام .

هذه فصول موجزة من النوع الأول من طريقي الاستدلال ، لها نظائر وأمثال كثيرة تظهر للتالي المتدبر ، يستلهم شرحها من وحي الهداية واليقين .

وأما الطريق الثاني : [illegible]

[illegible] فما أكثر ما ورد عليه ! لأنه أظهر بياناً ، وأشد وضوحاً وجلاء ، وأشد تقريراً ، يستوي

فى ادراكه العالم والجاهل ، والنبيه والخامل ، والغبى والذكى ، والكبير والصغير ، لأنه مبنى على الحس والمشاهدة ، وقائم على أمور لا سبيل الى انكارها ، ولا طريق الى الصدود عنها والصدوف عن شهادتها والجدل والمكابرة فيها .

والقرآن الكريم فى طريقته هذه ، يستعرض أولا تلك الأمور الملموسة أو المشاهدة ، فينبه العقل الى التفكير فيها ، ويحركه الى بحثها والحكم فيها ، ثم يعقبها بالدعوى المطلوبة صراحة أو ضمناً .

وأكثر ما جاء من هذا النوع جاء فى معرض اثبات وجود الصانع وانتظار وقوع اليوم الآخر ونهاية العالم الموجود . واليكم أمثلة من ذلك :

أنكر الملحدون وجود صانع لهذا العالم العجيب الصنعة ، المحكم النظام احكاماً قوياً بديعاً ، لا يترك مجالا للشك فى وجود مبدع له حكيم عظيم قوى عزيز ، لمن لفت نظره الى ما يشاهده فيه من ترتيب عجيب ، ودقة وانسجام ، وانتقل بعد ذلك الى حكم العقل مجرداً من حجب التعصب والتطرف التى تعمى الأبصار ، وتعمه بها البصائر ، فتصدى القرآن لاثبات ما أنكره أولئك الملحدون بالدليل المحس المنظور ، فقال :

أ ـ (ان الله فالق الحب والنوى ، يخرج الحى من الميت ومخرج الميت من الحى ، ذلكم الله فانى تؤفكون . فالق الاصباح ، وجعل الليل سكناً والشمس والقمر حسبانا ، ذلك تقدير العزيز العليم . وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر ، قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون . وهو الذى أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع . قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون . وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شىء ، فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ، ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب ، والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه ، أنظروا الى ثمره اذا أثمر وينعه ، ان فى ذلكم لآيات لقوم يؤمنون)

ب ـ (ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم اذا أنتم بشر تنتشرون . ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ، ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون . ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ، ان فى ذلك لآيات للعالمين . ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله ، ان فى ذلك لآيات لقوم يسمعون . ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء فيحيى به الأرض بعد موتها ، ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون . ومن آياته أن تقوم السماء والارض بأمره ثم اذا دعاكم دعوة من الأرض اذا أنتم تخرجون . وله من فى

السماوات والأرض ، كل له قانتون) .

ج = (ألم نجعل الأرض مهادا ، والجبال أوتادا ، وخلقناكم أزواجاً ، وجعلنا نومكم سباتاً ، وجعلنا الليل لباساً ، وجعلنا النهار معاشاً ، وبنينا فوقكم سبعا شدادا ، وجعلنا سراجاً وهاجاً ، وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجاً ، لنخرج به حباً ونباتاً وجنات ألفافاً . إن يوم الفصل كان ميقاتا) .

فهذه الفصول الحكيمة الثمينة ، الناطقة بالحقائق والوقائع المحسة ـ وأمثالها كثير في القرآن العظيم ـ جاءت في مقام الاستدلال على وجود صانع للكون ، قدير على كل شيء ، لا يستعصى عليه أمر ، ولا يقف دون ارادته محال ـ وان لم تتعلق ارادته بالمحال ـ . والخوض فى شرح ما تضمنته هذه الآيات الكريمة من علوم ومعارف عالية غالية ، ليس موضعه هذا المقال ، وأكتفى بتوجيه المطالع الكريم الى الامعان بالتفكير فى مواضيعها ، ومعانيها ، وصرف نور العقل الخالص من شوائب التطرف الى استجلاء ما فيها من الحقائق ، وتفهم ما جمعته من الوثائق ، والتبصر فى النظام الدقيق السليم الذى أشارت اليه ، ثم الرجوع الى أصل الدعوى المراد اثباتها ، وهى وجود الصانع ، ثم اعطاء الحكم فى الموضوع .

ومما جاء فى هذا الباب فى مقام ثبوت الصانع ، وامكان البعث واحياء الموتى ، قوله تعالى : (ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر ، لا تسجدوا للشمس ولا للقمر ، واسجدوا للذى خلقهن ان كنتم اياه تعبدون ، فان استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسئمون . ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت . ان الذى أحياها لمحيى الموتى ، انه على كل شيء قدير .)

طريقته فى التاريخ :

لم ينزل القرآن الكريم ليملى على الناس حوادث الماضين وسير الغابرين ، أو يسرد وقائعهم السياسية وأساليبهم الاجتماعية ، أو يمحص الحقائق من الشوائب فيما اقترفوه ، أو يشبع رغبات محبى الاطلاع على مجهول مضى ، أو يستنتج النتائج السياسية والاجتماعية لتكون قدوة فى مستقبل آت . كل ذلك ليس من غرضه عند تطرقه الى التاريخ ، وعرضه وقائع الأمم البائدة والباقية ، وقصه أحسن القصص ، وحكايته سلوك أمة أو سيرة شخص ؛ لأنه لم ينزل مدرساً للتاريخ أو مسجلا للحوادث ، كما أنه لم ينزل معلما للفلك والجغرافية عند بحثه مسائل فلكية أو جغرافية ، ولا أستاذا للكيمياء والفيزياء عند ذكره لمحات من حقائقهما وجملا من أمثلتهما . ليس شيء من ذلك مما قصد بتنزيله ، أو كان

محط النظر فى وحيه وتأويله . وقد أخطأ كل الخطأ من نصب نفسه للنزول بالقرآن الى عده كتابا يجمع خليطا من مسائل العلوم ، أو كناشة سجلت قضايا من الفلسفة والطبيعة والتاريخ ، معتقدا أنه يرفع بعمله هذا شأن القرآن ـ وهو الرفيع بنفسه ، أو أنه يدلل بذلك على اعجاز القرآن ، وهو المعجز بذاته . فليس فى عمله مدحة للقرآن ، أو رفعة من شأنه ، فان كتب الفلسفة كثيرة جمعت ضروب الفلسفة ومختلف طرقها ومذاهبها ، وكتب العلوم لا تكاد تحصر عدا ، وعت أدق مسائل العلوم النظرية والعملية . فأى فضل للقرآن أن يحشر فى عدادها ، ويحسب فى زمرها ؟ أليس فى ذلك حط للقرآن العظيم عن فضله ، ونزول به عن علو مقامه ؟

ان القرآن يهدف فى تقريره أولا وبالذات الى :

اثبات وجود صانع للعالم عظيم قدير .

والى وحدانية هذا الصانع العظيم القدير ، الذى يجب حمده وشكره وعبادته وحده ، هدما للشرك الذى سود وجه الأرض ، وخرج بالناس مخارج تاهوا بها فى مجاهل الضلال ، ودلفوا بها الى موارد الهلاك .

والى اثبات اليوم الآخر ثم البعث ونشأة عالم جديد لا يشبه هذا العالم .

فهذه الأغراض الثلاثة ، هى التى يرمى اليها أولا وبالذات ، بشتى طرق البلاغة ، ومختلف أساليب التعبير (كذلك نصرف الآيات لقوم يعقلون) . وما الأمور الأخرى التى حملها القرآن الكريم من مسائل النبوة والكتاب وغيرهما الا آتية بعد تلك الأمور الثلاثة ؛ لأنها لا تخلو من كونها اما وسائل لهؤلاء الأمور ، واما توابع تعقبها بعد ثبوتها وتحققها . فالقرآن الكريم لا يتدخل فى أمر التاريخ وسائر العلوم ، ولا يأخذ من مسائلها وقضاياها الا قدر ما يخدم اثبات تلك الحقائق الثلاث ، أو يوحى فى النفوس عبرة وموعظة ترد العقول الجامحة الى صوابها ، لتتدبر الحقائق والدلائل القائمة ، وتتنكب طريق المكابرة والجدل ، فتصل الى الصواب (قرآن أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليذكر أولو الألباب) .

فالقرآن الكريم اختط له طريقة خاصة فى التاريخ ، طريقة تفى بالغرض الذى يرمى اليه من دخوله ساحة التاريخ ؛ لذلك تجافى طريقة المؤرخين ، من اهتمامهم بتحديد الأزمنة والأمكنة ، وجهدهم فى ضبط الأسماء والكنى والألقاب وتسلسل الحوادث وسردها بالتفصيل . فاقتصر منه على ما يصيب غرضه ، فلم يذكر من الوقائع الا ما هو معروف مسلم به ، ولم يذكر من الأسماء الا من عنى بتأريخهم بالقدر الذى يؤدى الى

الغرض ، ممن لتعيين أسمائهم دخل جوهري في الموضوع كأسماء الأنبياء عليهم السلام، فلم يذكر أسماء الفراعنة وسائر الملوك الذين وقعت الحوادث التي سرد طرفاً منها في عهودهم ، ولا الأزمان ونحوها من الأمور التي يعنى بها المؤرخ ، لخروج ذلك عن دائرة ما يرمي اليه في ايراده القضايا التاريخية ، فانه لا يهدف في ذلك الا الى العظة والاعتبار ، فيورد ما يؤدي اليها بايجاز لا يزيد على المراد . وربما كرر ذكر الواقعة الواحدة في مواضع مختلفة بأساليب وتعابير متنوعة ، لما لتلك الواقعة من صلة بالموضوع من حيث العظة والاعتبار ، كقصة موسى عليه السلام ؛ فان لتكرارها في المواضع التي وردت فيها ، وبيان نتائجها ، أثراً بليغاً في تقرير الموضوع الذي عقبه ، والتفكير فيه ، خصوصا في زمن نزوله ، ذلك الزمن الذي بلغ فيه طغيان الملوك واستئثارهم بمقدرات شعوبهم واستهانتهم بالأمم الخاضعة لحكمهم حدا تجاوز في فظاعته حدود الظلم والجور .

طريقته في المحاورة :

المحاورة فن من فنون الأدب ، وهي غير المناظرة . فالمناظرة أن ينصب طرفان نفسيهما للاستدلال على اثبات أمر تخاصما فيه نفياً وايجاباً ، يعد كل منهما نفسه نظيرا لخصمه في المنزلة والمقام في الموضوع الذي يبحثانه ، للوصول الى الصواب ؛ لذلك لا تجري المناظرة بين تلميذ وأستاذه ، ولا بين مجتهد ومقلده ، ولا بين الشارع والمقتدي، بل يجري بينهما الاستفهام والمراجعة .

أما المحاورة ، فهي المراجعة في الكلام بين طرفين ، لبث شكوى ، أو غرام ، أو تفصيل أمر ، أو تهدئة خاطر ، أو نحو ذلك من الأغراض التي تقتضيها الحال والمقام ، مشتقة ـ على ما أعتقد ـ من حار يحور بمعنى رجع يرجع ، على حد (يحور رمادا بعد اذ هو ساطع) . فقوله تعالى في سورة البقرة : (اذ قال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت ، قال : أنا أحيي وأميت . قال ابراهيم : فان الله يأتي بالشمس من المشرق، فأت بها من المغرب ... الخ) مناظرة . وقوله في سورة الكهف : (فقال لصاحبه وهو يحاوره : أنا أكثر منه مالا وأعز نفرا ، الى قوله : وأحيط بثمره) محاورة .

وطريقة القرآن الكريم في المحاورة أن يوردها بغاية الايجاز ، بأوضح بيان وأسهل تعبير ، في مقام الوعظ والارشاد . ومن ذلك قوله تعالى في سورة يوسف : (وتولى عنهم ، وقال : يا أسفا على يوسف ، وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم . قالوا تالله تفتأ تذكر يوسف حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين . قال : انما أشكو بثي وحزني الى الله ، وأعلم من الله ما لا تعلمون) . وأكثر ما يورد القرآن المحاورة تمهيداً لأمر

غريب سيقع ، وحادث عجيب سيحصل ؛ ليكون حصوله أبلغ فى الاعتبار بعد التنبيه اليه، وأوغل فى الوعظ بعد الاشارة الى وقوعه . ومن ذلك ما جرى منها بين الرسل والمرسلين اليهم ، كمحاورة نوح عليه السلام مع قومه ، ومحاورة هود عليه السلام مع شعبه ، ومحاورة لوط عليه السلام مع قبيلته ، ونحو ذلك من المحاورات بين سائر الرسل وأقوامهم .

طريقته فى القصة :

القصة حكاية واقعة ، لغرابتها أو خطرها ، أو لدلالتها على ما انطوى عليه مجتمع : من أدب ، أو رقة ، أو عدل ، أو ظلم ، أو ذوق سليم ، أو فوضى ، أو خشونة فى الطبع ، أو تعسف ، أو سكوت على ظلم ، أو نحو ذلك من المعانى التى لا تحصى ، بأسلوب يجذب النفس للتطلع الى الاحاطة بأطرافها ، والتعمق فى مغزاها ونتائجها ، ويصور الحادثة تصويرا كأنك تشاهدها عن كثب ، فتأتى مثلا رائعا .

وأدب القصة معروف فى الأدب العربى ، قبل الاسلام ، وبعده . وقد تطرق القرآن الكريم اليه فى مواضع عدة (نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا اليك) للغاية التى يتوخاها فى ايرادها ، من الارشاد والوعظ ، والانذار ، والتحذير . دعماً للحجج التى أقامها فى اثبات مقاصده ، وتعليماً للسلوك الحسن الذى يجدر بالأمم والأفراد أن تسير عليه ، وتنبيهاً للغافلين من رقدتهم التى حجبتهم عن تبين حالتهم التى هم فيها ، وهم عنها غافلون .

وطريقة القرآن فى القصة أن يتبسط فى سردها بعض التبسط ؛ لأن مقام القصة وطبيعتها ، وتيسير استنتاج النتائج المهمة منها ، تقتضى التبسط فى ايرادها ، بل قد تقتضى الاطناب فيه . ولا يلوى فى أسلوبه هذا الى ذكر ما لم يكن من عناصر الحادث الذى يقصه ، كما يفعله أدباء القصة تخيلا بغية سذل ثوب ضاف على قصصهم ، واخراجها مخرج روايات تمثيلية ، لأن فى ذلك نوعاً من الكذب ، والقرآن يمقت الكذب ويحرمه مهما كان سبيله ، ويلعن الكاذبين .

وقد ضرب القرآن الكريم المثل الأعلى بأسلوبه فى أدب القصة . فهو مع تحاشيه التخيل والكذب فى صياغتها ، قد طبعها بطابع أخاذ بمجامع القلوب ، ينبه المشاعر والحواس الى استماعها بتلهف ، لما يتخللها من مفاجآت طريفة فى مضامينها ، وحلول لتعقدات فى مبانيها ، مضافاً الى ما يشمه هذا الطابع من المعانى الرفيعة ، وما ينطوى عليه من الحقائق والحكم السامية . وأبرز مثال لذلك قصة يوسف ، عليه السلام ، فقد جاءت مثلا معجزا

فى أدب القصة ، بوضوح تعابيرها ، وانسجام فصولها ، وبراعة سبكها ، وبلاغة جملها ، ونصاحة ألفاظها ، وسهولة فهمها ، وتقلب النفس عند قراءتها من تأمل ، الى وجوم ، إلى حزن ، الى يأس ، الى أمل ، الى رجاء ، الى فرح وسرور . ثم أخذها بزمام العقل الى استجلاء غرائز الانسان المتناقضة : من حب ، وبغض ، وحسد ، وحقد ، ومكر ، وشهوة ، وغرام ، وخيانة ، وكذب ، وبهتان ، وظلم ، وغضب ، وجور فى الحكم ؛ واتباع للهوى ، وصبر ، وجلد ، واستقامة ، وصلابة فى الرأى ، وصدق فى القول ، واعتداد بالنفس . هذا مع ما فيها من العبر ، وما تشير اليه من حالة المجتمع العربى فى ذلك العصر وقضائه وادارته ، وغير ذلك من الأمور التى يطول شرحها ، وليس هنا محل بحثها وبسطها . . .

طريقته فى تقرير الأحكام

آيات الأحكام فى القرآن الكريم على نوعين : نوع ورد نصاً لتقرير أحكام معينة ، ونوع ورد نصاً لأمر آخر ، ولكنه يدل على تقرير حكم من طريق الظاهر أو الاشارة . فالأول مثل قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربوا ان كنتم مؤمنين . فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وان تبتم فلكم رؤوس اموالكم لا تظلمون ولا تظلمون . وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة) . والثانى مثل قوله تعالى : (وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف) فان الآية وردت نصاً فى وجوب نفقة الزوجة على الزوج ، ولكنها قررت حكما آخر يفهم من ظاهر عبارة (وعلى المولود له) ، وهو اعتبار النسب من جانب الأب لا من جانب الأم . وكذلك قوله تعالى : (ان المنافقين فى الدرك الأسفل من النار) فان الآية وردت اخبارا عن مصير المنافقين، ولكنها قررت حكما يفهم من ظاهرها ، وهو أن النفاق حرام واثم عظيم .

وطريقة القرآن الكريم فى تقرير الأحكام أنه لا يجمعها كمواد قانونية ، أو ككتاب فقه يجمع أحكاماً تعد عدا وتسرد سردا ، بل يأتى بها متفرقة يتبينها تالى كتاب الله بين فصوله المتنوعة فى مناسبات الكلام والبحث ، وبين مواطن الوعظ والارشاد . وهذه الطريقة أدعى لتلقى الاحكام باطمئنان النفوس ، وأرسخ فى تفهم المقصود ، وأخف فى تحمل التكاليف وأوفق لخطة التشريع ، بخلاف ما اذا جاءت كمواد قانونية مجموعة فى مجلة ، أو ككتاب فقه يحفظ بين دفتيه ألوف المسائل بشروطها وأوصافها .

ثم انه يقرر أحكامه بوجهين :

الأول بطريق الفتوى جواباً عن سؤال ، مثل قوله تعالى : (يسئلونك عن الأهلة

قل : هى مواقيت للناس والحج) و (يسئلونك عن الخمر والميسر ، قل : فيهما اثم كبير) ، (ويسئلونك : ماذا ينفقون ؟ قل العفو) . (ويسئلونك عن اليتامى ، قل : اصلاح لهم خير) . (ويسئلونك عن المحيض ، قل : هو أذى فاعتزلوا النساء فى المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن) (يستفتونك فى النساء ، قل : الله يفتيكم فيهن .. الآية) . (يستفتونك ، قل : الله يفتيكم فى الكلالة : ان امرؤ هلك ليس له ولد ... الآية).

وفى هذه الطريقة تعليم للناس أن يسألوا أهل العلم والاختصاص عما يجهلون من أمور دنياهم وأخراهم ، وأن يأخذوا بما يرشدونهم اليه ، فضلا عما فيها من حسن تقرير للمسألة والحكم ..

الثانى بطريق الانشاء ، وهو الغالب فيه ؛ لأن الناس لا يسألون عن كل ما يرغب المشرع فى تشريعه للمصلحة التى يراها . وهذه هى طريقة المشرعين المعتادة . مثل قوله تعالى : كتب عليكم الصيام . كتب عليكم القصاص فى القتلى . حرمت عليكم امهاتكم . لا يحب الله الجهر بالسوء من القول . ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من اتقى . أقيموا الصلوة وآتوا الزكوة .

ومن طريقته الحسنى فى هذا الباب ، أنه لا يقر الا الأحكام الاساسية التى يراها جوهرية فى التشريع ، والتى يرى ضرورة دوامها فى المجتمع الانسانى طول الدهر ، ويترك تقرير التفاصيل والاحكام الاخرى الى الرسول المبلغ ، شأن الدستور والقوانين والانظمة فى العصر الحاضر ـ وللقرآن المثل الاعلى ـ . ثم يفوض التفسير والاستنتاج الى الراسخين فى العلم .

والولوج فى هذا الباب ثم الخروج منه يقتضى بحثا طويلا ليس محله هذا البحث الوجيز . وأدع الاستزادة من بحث اسلوب القرآن وطرائقه فى مواضيعه الاخرى الى جهد الراغب فى البحث ، مكتفيا فى هذه الكلمة بما نبهت اليه .

ـ ٢ ـ

مفردات القرآن الكريم

اختار القرآن الكريم فى جمله الألفاظ العربية الفصيحة ، اللذيذة فى السمع ، الخفيفة على اللسان ، جامعة لشروط الفصاحة فى خلوها من التنافر والغرابة والتعقيد ، منتقاة من لآلىء بحر اللغة العربية ، منتظمة فى سلك الكلام البليغ المعجز ، لم تشبها شائبة ، ولم تضمها وصمة ، قد خوطب بها عرب من سائر الناس فى ميزان البلاغة وتفهم

الكلام العربي ، ففهموا معانيها ، وعملوا بمقتضاها . وخاطبهم بها عربي أرسل لتبليغهم أحكام الله تعالى ، في أوامره ونواهيه ومواعظه ، وفي أمثاله وحكمه وقصصه ، وفي دلائله التي أقامها على وجوده ووحدانيته ، وحججه التي أفحم بها الملحدين ، وبراهينه التي أعزبها المؤمنين . ففهم الناس كل ذلك بوضوح ، فآمنوا بما جاء به رسوله ، وصدقوه .

وبعد هذا ، أليس من الغريب أن يذهب بعض المشايخ إلى وجود ألفاظ غريبة في القرآن ، فيضعوا فيها كتبا قيمة يفسرون معانيها ، ازالة لغرابتها على زعمهم ، وبيانا لغموضها على رأيهم ؟! . من ذلك « مفردات الراغب » التي قال فيها : « فالمتشابه من جهة اللفظ يرجع الى الالفاظ المفردة اما من جهة الغرابة نحو : الأب ، ويزفون » ، و « غريب القرآن » لأبي بكر السجستاني الذي قال في أوله : « هذا تفسير غريب القرآن ، ألف على حروف المعجم ليقرب تناوله ويسهل حفظه » .

ونحا نحوهما كثير ممن لهم قدم راسخة في العلم والأدب قبلهما وبعدهما ، كابن دريد وابي عبيدة وابن الأنباري والسيوطي وغيرهم .

وما أدري كيف فات هؤلاء الأئمة أن الغرابة تمحو الفصاحة ، والفصاحة ركن من اركان البلاغة ، فاذا سقطت من الكلام ، سقطت بلاغته ، وأصبح سوقيا عاميا . والقرآن كلام الله المعجز ، والاعجاز أعلى درجة في سلم البلاغة ؟ وما أدري ، كيف جاز لهؤلاء الأحفياء في الأدب العربي أن يطلقوا اسم الغريب على طائفة كبيرة من ألفاظ القرآن الكريم نظموها معاجم تسهيلا لانقاذها من وصمة الغرابة ، وهي الدراري المتألقة في سماء الاعجاز ، والدرر المنظومة في سلك البيان ؟ وكيف يعقل أن يخاطب الرسول قومه بغريب الألفاظ ، وهو في مقام التبليغ والتبيين ؟ (بلغ ما انزل اليك من ربك . وما أرسلنا من قبلك من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم) . على أننا اذا استعرضنا ألفاظ القرآن التي وصموها بوصمة الغرابة ، وحشروها في ساحة الغموض ، نجدها أوضح من فلق الصبح ، وأقرب تناولا في أداء معانيها من أكثر الالفاظ التي عدوها قريبة لا غريبة ، وأليفة غير نافرة ، يفهم سامعها المراد منها بلا حاجة الى مراجعة المعاجم ، أو بمراجعة سهلة توصل الى كشف المعنى بلا تنقير مضن في المعاجم ، ولا تفتيش طويل . وها أنا ذا أورد طرفا من ذلك شاهدا على ما أقول :

. آيات . أسلمت لرب العالمين . أسباب . افرغ علينا صبرا . الأكمه . من أنصاري الى الله . الأرحام . أنباء . آلاء الله . أدلى دلوه . أصنام . أصفاد . الأحزاب . اجتثت . اجنبني . أترفوا . اهدنا . استوقد . اهبطوا منها . اصطفى . الحافا . بارئكم .

بديع ، يث فيها ، بازغاً ، بوار ، بارزة ، بهيج ، تسفكون ، تشابهت ، قلوبهم ، ترتابوا ، ترهقهم ، تسرحون ، تبذير ، ثواب ، الثرى ، ثاقب ، ثعبان ، جهرة ، جن عليه الليل ، جاسوا ، زينة ، سم الخياط ، شرعة ومنهاجا ، عفريت ، عجاب ، نكال ، تبأ ، نكثوا ، نقموا ، يوعون .

فهذه الالفاظ الممتازة ونحوها ، الجارية على اللسان بسهولة ، المفهومة المعانى بلا كد أو تعب ، قد عدّوها من غريب القرآن ، وهى من قريب القرآن لا من غريبه ، ومن اليقه لا من نافره وبعيده . فهل فى هذه الألفاظ الغرّ شىء من ملامح الغرابة ؟ وهل يتوقف فهم معانيها لأوساط الناس على مراجعة المعاجم المبسوطة والبحث عنها فى كتب اللغة المطوّلة ؟ كلا . فاذا لم يكن شىء من ذلك ، فلا غربة فيها ؛ لأن ميزان الغرابة ومقياسها فى الألفاظ ، وهو ما سألنا عنه لا غير . واذا أرادوا بالغريب معنى أوسع من هذا المقياس ، فهو خروج عن حدود الغرابة التى أقرها الأدباء ، ونطقت به كتب علم البلاغة اجماعا . فان أرادوا بالغريب ما خفى معناه على سائر الناس ، أصبح معظم كلام البلغاء غريباً ، وأصبح أكثر القرآن الكريم وسائر الكتب المنزلة وكلام أهل الحكمة من الناس غريبا . وهذا بعيد عن الصواب كل البعد ، ولا قائل به . فالمقياس فى حدود غرابة الفاظ ، هو فهم أوساط الناس ، وهم الذين لم يرقوا أعلى درجات البلاغة ، ولم ينحطو الى أسفلها ، بل وقفوا وسط الدرجات . ومن الغريب أيضاً استدلال من ذهب الى وجود الغريب فى القرآن الكريم بما روى عن بعض الصحابة ، رضوان الله عليهم ، من توقفهم فى تفسير معانى بعض الالفاظ كلفظة (اب) فى قوله تعالى (وفاكهة وابا) ولفظ (يزفون) فى قوله تعالى (فأقبلوا اليه يزفون) . أقول : من الغريب الاستدلال بذلك على وجود الغريب فى القرآن ، لأن الروايات فى ذلك لم تتوافر فيها شروط الروايات الصحيحة ، فهى اما مكذوبة ، واما ضعيفة ؛ ولأن خفاء معنى اللفظ على فرد ، لا يستلزم خفاءه على غيره من أوساط الناس ، بله علماءهم ، بدليل أن من رووا عنه التوقف فى تفسير ما سئل عنه ، قد أحالهم على غيره من أضرابه ، ففسرها لهم .

ولا يقال : ان المتشابه فى القرآن كأوائل السور والآيات المتشابهة الأخرى غريبة لخفاء معانيها ؛ لأنا نقول : لا غرابة فيها ؛ فان ألفاظها مفهومة المعانى ، واضحة الدلالة عليها ، فان (كهيعص) مثلا تدل على الحروف المسماة بكاف ، وهاء ، وياء ، وعين ، وصاد ، دلالة ظاهرة ، فهى معانيها المفهومة لكل قارىء . وان كلمة (يد) مثلا فى قوله تعالى (يد الله فوق أيديهم) دالة على ما وضعت له بوضوح ، مفهومة المعنى بلا حاجة الى مراجعة

للعاجم، وانما التشابه والخفاء جاء من جهة أخرى ، هى : ما المقصود من افتتاح بعض السور بأسماء حروف الهجاء ؟ وكيف صح نسبة (يد) الدالة على العضو المعروف فى الجسد الى الله تعالى ؟ فليس فى الدلالة غرابة ولا خفاء ، وانما الخفاء فى وجه الاستعمال، وهذا بحث آخر لا علاقة له بموضوع الغرابة .

وبعد فألفاظ القرآن الكريم ، أفصح ما نطق به العرب من الالفاظ ، وما عده بعضهم غريبا هو أعرق نسباً الى الفصيح من الكلمات التى يحشرها البلغاء فيما يكتبون ، وانما جاءت شبهة الغرابة فيها من هجر استعمال الكتاب اياها ، وهم مخطئون فى ذلك خطأ شنيعا . فألفاظ القرآن الكريم منتقاة من جواهر الفصيح من الألفاظ العربية ، تحلى الكلام حلية بهية ، وتكسيه فخامة وروعة ، سواء فى ذلك النظم والنثر على الاطلاق ، فى مقام المحاجة أو الخطابة ، أو فى أى مقام آخر مما يجرى فيه القلم واللسان .

فالواجب على كتاب العصر الاستمداد من فيضها الدافق ، والاتصال بها فيما يكتبون اتصالا وثيقا ، والتباعد عن استعمال الكلمات الركيكة السوقية المبتذلة . والطريق الموصل الى ذلك هو حفظ القرآن الكريم كله أو معظمه .

ومن خصائص القرآن الكريم فى مفرداته ، استعماله الحقائق من المفردات ، فهو لا يركن الى الألفاظ المجازية الا قليلا أو نادرا ، فى مواضع لا مناص من استعمالها فيها نظرا لفن الأدب ومورد الكلام ؛ لأن الحقائق أوفى بأداء المراد تاماً ، لا زائدا ولا ناقصا، وهو طريق واضح سليم تنكب عنه كثير من البلغاء والكتاب ، فأكثروا من المجازات ، وبالغوا فى استعمال الاستعارات من مصرحة ومكنية ، ظانين أن فى ذلك رفعة لكلامهم ، وعلواً لخطابهم ، وفخامة لما ينشئون . كما أن القرآن لا يركن فى تراكيبه وجمله الى المجاز العقلى ، ولا الى الكناية ، الا قليلا عند مقتضى الحال ؛ لأن الكلام الحقيقى كفيل بايفاء المراد على حقيقته وقالبه ووضعه . وهذه المزية فى الحقيقة لا تتوافر فى المجازات العقلية والكنايات . ولكن كثيرا من الكتاب السالفين والمعاصرين ، لم ينحوا هذا المنحى تمشياً مع القول المأثور : المجاز أبلغ من الحقيقة ، والاستعارة أبلغ من التصريح . وهو قول لا نسلم به ؛ اذ لا يكون الثوب المعار أكثر ملاءمة من الثوب المقطوع على الجسم ، ولا الشىء الصريح أقل دلالة على مادته من الخليط . وان الوصول الى المراد من طريق الخيال — وهو طريق الاستعارة — خروج عن ايفاء المراد على ما هو عليه ؛ لأن الخيال يصور الشىء على غير ما هو عليه ، فلا يؤدى المراد صحيحاً كاملا ، فالكاتب جدير بأن لا يسلك هذا الطريق الا اذا سدت عليه الطرق غيره . واما اللذة التى قد يشعر بها الذهن

من التخيل ، فهى كالسراب لا يفتأ يذهب زائلا ، فلم يغن عن ظمأ ، ولم يخلف وردا ؛ لذلك نجد النفوس الفقيهة للأدب ، المتذوقة لثماره تنشرح للكلام الجارى على حقيقته ، وتستسيغ سماعه مهما طال فى حدود الموضوع ، ولكنها تنقبض من الكلام الجارى مع الخيال بعد السير معه الى أمد ؛ اذ أن الخيال يبعدها عن المراد رويدا رويدا ، فتنتبه الى أنها تاهت فى طريقها ، وأنها تستمع لغير ما بدأت بسماعه ، فتضيق به ذرعا . ولا يرد هذا العيب على التشبيه ، وهو حقيقة ؛ لأن التشبيه لا يجيء اقتضابا ، وانما يرد بعد معرفة حقيقة المراد . فبعد أن تحكى الحقيقة أو تعرف بوجه آخر ، يأتى التشبيه لزيادة الايضاح ، فالنفس مطمئنة به ؛ لأنه لم ينحرف بالمراد عن الحقيقة ، بل لم يزل جاريا معها مضيفا صراحة الى صراحتها ، فتألفه النفس راضية مرضية .

وبعد ، فالقرآن الكريم مثل أعلى فى أسلوبه ، وفى نظمه وتركيبه ، وفى مفرداته وجمله ، وعذوبة معانيه ، فهو التحفة الخالدة فى معرض البلاغة والمنوال الذى يجب أن ينسج عليه .

منير القاضى

الف - ١٦٣

٦٥٣١